انقراض العالم

ترتعد فرائص كثيرين في هذه الايام وتَنِي ضربات قلوبهم توقعاً لليوم العظيم الذي هو آخر ايام الانسان على الارض بل آخر ايام الارض في الوجود وقد ايقن كل حيٍّ بحلول اجلهِ واصبحت حياة البشر اياماً معدودات وستُعَدّ بعد حينٍ بالساعات ثم تُعَدّ بالدقائق والثواني ولم يبقَ الا ان يودّع كل حبيبٍ حبيبهُ ويقضي كل انسانٍ آخر اوطارهِ من الدنيا فعن قليلٍ ستقول الدنيا على الكون السلام

يوم تشكل الشمس احدى بناتها بل تُفجَع باجملهنّ صورةً واعدلهنّ خلقاً وانضرهنّ شباباً وابهاهنّ رونقاً ويوم ترتعد السيارات في افلاكهنّ فرَقاً وقد شهدنَ ما نزل باحدى اخواتهنّ فلو استطعنَ وقفنَ عن مسيرهنّ حيرةً ودَهشاً بل شردنَ في عرض الفضآء شرود الغزال من وجه الصيّاد

ذلك هو النبأ المشؤوم بل نذير القدر المحتوم الذي انتشر منذ اشهرٍ في صحيفةٍ هي احقّ ان تسمى صحيفة القضآء وصكّ الحكم المبرَم الذي حُكم فيهِ على الانسان بل على الارض وما اشتملت عليهِ من برٍّ وبحر وممالك ومدن وحيوان ونبات فتصبح الارض قفراً مغموراً بجثث الاموات طافيةً على وجه البحار او تعود سديماً مشتعلاً يرسل اشعتهُ الى اخواتها من السيارة ثم يستحيل شمساً اخرى تضيء في سمآئهنّ فيصبحنَ في خلقٍ جديد

ورد ذلك النبأ في تقويمٍ سنويّ ينشرهُ المسيو فالب الالماني وهو فيما قيل رجلٌ ورّاق يتكسّب بطبع الكتب وبيعها وقد رأى اصحاب المعامل

وارباب التجارات يتفننون في طرق الاعلان لكسب الشهرة فسوّلت لهُ نفسهُ الخسيسة ان ينعق بهذا السوء العاجل والويل المستطير حتى لا تبقى في الارض زاويةٌ الا تردد صدى قولهِ ويُتناقل فيها ذكرهُ فزعم ان المذنب المعروف بمذنب تمبل المنتظر ظهورهُ في هذه السنة سيصدم الارض فيمحقها من عالم الوجود وذلك في الثالث عشر من شهر نوفمبر القابل بين الساعة الثانية والثالثة بعد منتصف الليل . فيا لهُ من نبإٍ رقصت لهُ القلوب في الصدور ويا لها من شهرةٍ طارت في آفاق الارض على اجنحة الرعب وعن قليلٍ ستعود الى مرسلها على اجنحة السخط والانتقام

وقد تقدم لنا الالماع الى هذا النبأ في حينهِ وأبنا غاية ما يمكن ان يُتوقع من مثل هذا الحادث لو صحّ الانبآء بهِ على ما اوضحنا من بُعد احتمالهِ وانهُ ان قُدّر حدوثهُ كان اكثر ما فيهِ امناً وسلاماً قياساً على ما ظُنّ من وقوع مثلهِ من عهدٍ غير بعيد . ولا بأس ان نعزز ما ذكرناهُ هناك بايراد فصلٍ مختصر في الكلام على ماهية المذنبات وطبيعتها وافلاكها وان كان الكلام فيها يستغرق مجلداً برأسهِ على انا سنذكر فيها آخر ما انتهت اليهِ مباحث العلماء ثم نعقبهُ بما يمكن ان يكون من صحة هذا النبأ على أنّا قلما رأينا من العلماء من اهتمّ بهِ او تصدّى لتفنيدهِ الا تسكيناً لما ثار على اثرهِ من خواطر العامة

واول ما نقول ان حقيقة المذنبات لا يزال اكثرها الى الآن مجهولاً لغرابة احوالها و بعدها عن مشابهة الاجرام المؤلف منها العالم الشمسي وقد تباينت اقوال اهل البحث في ماهيتها واصلها فمن قائلٍ انها بقايا من اطراف

السديم الاول الذي تكونت منهُ العوالم الشمسية ومن قائل انها كائناتٌ من فضلات الخلق النجمي سابحةٌ بين العوالم المنبثّة في الفضآء تجاذبها الاجرام التي تمرّ بها فمنها ما تحوّل طريقها ومنها ما تجذبها اليها فتصير من توابعها كما هو الحال في المذنبات التابعة للعالم الشمسي واجرامها في غاية الخفة لانهُ لم يُرَ لها قطّ تأثيرٌ في حركات السيارات التي تمرّ بقربها وقد عبرت عدةٌ منها بالقرب من المشتري حتى ان مذنَّب لكسال كاد يخالط اقمارهُ ولم يظهر في حركة هذه الاقمار على صغر اجرامها ادنى اضطراب . وفضلاً عن ذلك فقد دلت المراقبة على ان اذناب هذه النجوم ووفراتها [1] شفافةٌ تمام الشفوف حتى انهُ كثيراً ما كان يُرَى ما ورآءها من الكواكب الصغرى حتى ذوات القدر الحادي عشر وقد رُؤي سنة ١٨٢٨ نجمٌ من القدر العشرين من خلال وفرة احد المذنبات وكان قطر المادّة السديمية التي اخترقها ضوء هذا النجم لا اقل من ثلاث مئة الف ميل . وقد قدّر بابيناي بنآءً على هذا الشفوف المتناهي ان كثافة هـذا القسم من راس المذنب ينبغي ان تكون اقل من واحد من ٤٥ مليون مليار من كثافة الهوآء

الا ان هذا انما يصدق على الوفرة والذنب دون النواة التي هي انور جدًّا منهما على انهُ قد روقب غير مرةٍ عبور نجمٍ من القدر التاسع من ورآء النواة وبقآء النجم منظوراً ومن هنا يؤخذ ان نواة المذنب مؤلفةٌ من حصًى كونيّة شديدة التخلخل ان لم يكن بعضها ذرّاتٍ ملتهبة بدليل ما تحقق لها من النور الذاتي على ما ظهر بالتحليل الطيفي . على انهم تبينوا اخيراً ان الشهب

(١) الوفرة شعر الرأس والمراد بها هنا ما يحيط برؤوس هذه الأنجم من المادة المنيرة

والمذنبات ترجع الى اصل واحد لما وجدوا بينها من الاتفاق في مواقيت ظهورها وسرعتها وميل افلاكها وان الشهب ليست الا مذنباتٍ استحالت نوَياتها الى حلقاتٍ مستطيلة من الحصى السماوية٠ وقد طبقّوا اربع حلقاتٍ من هذه الشهب على مذنباتٍ معروفة المُدَد وهي شهب ١٠ اوغسطس وشهب ١٣ نوفمبر وهي التي يُنتظَر ظهورها في هذه السنة في الموعد الذي ذكرهُ فالب وشهب ٢٠ ابريل وشهب اوائل دسمبر٠ وعليهِ فغالب الظن ان نويات المذنبات مؤلفة من مثل هذه الحصى المتجمعة وعلى كل حالٍ فهي من الخفة وقلة الجرم بحيث لو صدمت الارض لا يُتوقع ان يحدث عنها تأثيرٌ في كيان الارض او تبديلٌ في طبيعة جوّها وانما جلّ ما هناك ان تؤثر في محل الصدمة ليس غير٠ الا ان هذه المصادمة من ابعد ما يُتوقع حتى ان اراغو الفلكي الشهير قدَّر ان مثل هذا الفرض لا يكون الا واحداً من ٢٨٠ مليون فرض

بقي أن الإنبآء بالحوادث الفلكية لا يصدق الا فيما اطّرد منها على مواقيت محدودة وحركاتٍ قياسية بحيث تتكرر تلك الحوادث في آجالٍ معلومة وقد رأينا العلمآء يحسبون مواقيت الكسوف والخسوف قبل مئاتٍ من السنين فلا يختلّ حسابهم ثانيةً من الزمن بل رأيناهم يحسبون من هنا خسوف اقمار المشتري وقرانات السيارة وما يكون من احتجاب الثوابت بها على دقة ما هناك من الحسبانات وجميعها تصدق بلا تخلف وذلك لان هذه الاجرام كلها مضبوطة السير معروفة المقادير والقوى الجاذبة بحيث يمكن ان تُضبط جميع حركاتها بالتدقيق٠ وبخلاف ذلك حسابهم في رجوع المذنبات

فانهُ لا يكون الاحساباً تقريبياً لان حركاتها غير مضبوطة وافلاكها غير قياسية واكثرها يتجاوز العالم الشمسي فيتوغل بين الثوابت الى مسافاتٍ قد تبلغ مئات آلافٍ من السنين وطريقها يختلف بين اهليلجي وشلجمي وهذلولي[1] الا انها لا تستمرّ على طريقٍ مطّرد لانها لخفتها ونزارة مادتها تجاذبها الاجرام السماوية وكثيراً ما تحوّل وجهتها وتغير سرعتها ومواعيدها واشكال افلاكها. بل اشكال هذه النجومِ نفسها ومقاديرها ومبلغ نورها قد تتغير حتى في المظهر الواحد وربما وقف بعضها في اثناء مسيرهِ ثم تقدم اورجع القهقرى الى غير ذلك مما لا يقع تحت ضابط . ومع ان بعضها من المذنبات المعروفة بالدورية اي التي تتم دوراتها في مددٍ قياسية فليس ذلك فيها الا قياساً تقريبياً لانهُ لا يمكن ان تُضبط مواقيتها ضبطاً مدققاً بسبب ما ذكرناهُ من خفتها وتأثير الاجرام السماوية على حركاتها . وجملة الامر ان الانبآء في امر هذه النجوم لا يكاد يصدق واصدق انبآء وقع لهم وهو انبآء فيلرسو برجوع مذنَّب أَرَّست سنة ١٨٥٧ جآء متقدماً على موعد ظهور النجم باثنتي عشرة ساعة ومع وقوع هذا الخلل فيهِ عُدَّ لهُ هذا الانبآء فوزاً عظيماً

على ان ما نحن فيهِ ليس باول انبآء من هذا القبيل استطار قلوب الناس خوفاً وجزعاً فقد رُوي عدة حوادث من مثلهِ كان لها من الروع ولا سيما عند العامة ما لا يقاس بهِ الروع الحالي . منها انهُ في سنة ١٧٧٣ نُقل عن لالند الفلكي المشهور ان في عزمهِ ان يتلو في مجمع العلم الفرنسوي

(١) الهليلجي ما كان دائرة الى الطول والشلجمي ما ذهب طرفا المنحني فيهِ في جهتين متوازيتين بحيث لا يلتقيان والهذلولي ما انفرجا فيه فذهب كل واحد منهما في جهة

مذكرةً عنوانها « بحثٌ في المذنبات التي يمكن ان تدنو من الارض » فتناقل العامة ان الفلكي المشار اليهِ انبأ بمذنبٍ سيصدم الارض في ٢٠ او ٢١ من شهر مايو من السنة المذكورة مع ان هـذا لم يكن في المذكرة ولا المذكرة تليت ايضاً وانتشر من ثم الهلع في القلوب وعم الخوف اكثر طبقات الناس حتى اضطرَّ الفلكي المذكور ان ينشر اعلاناً في احدى جرائد باريز المشهورة بتاريخ ٧ مايو كذّب فيهِ هذا الارجاف وتبرأ من معرفة الوقت الذي يمكن ان يقع فيهِ مثل هذا الحادث . الا ان هذا الاعلان لم يزد الناس الا خوفاً وقلقاً لانهم عدّوهُ ضرباً من المغالطة واتخذوهُ دليلاً على ان في تلك المذكرة انبآء مخيفة سترها عنهم بهذا التمويه

وقد كتب ڤولتير رسالةً في هذا الحادث بتاريخ ١٧ مايو جرى فيها على عادتهِ من التهكم فقال ما تعريبهُ

« ان اناساً من الباريزيين ليسوا من الفلاسفة ولن يكونوا منهم لما باغتهم من ضيق فسحة الاجل كتبوا اليَّ ان انقراض العالم قد دنا وانهُ سيكون بلا ريب في العشرين من شهر مايو الذي نحن فيهِ فانهُ يُتوقع في ذلك اليوم انقضاض مذنب على كرتنا الصغيرة يردها هبآء منثوراً وذلك بناء على انبآء من المجمع العلمي لم يكن قطّ

» لا جرم انه لا احق من الثقة بصحة هذا النبأ لان جاك برنولي انبأ من قبل ان مذنَّب سنة ١٦٨٠ المشهور[1] سيعود بانفجار مخيف في السابع

---

(١) جاك برنولي احد علماء الفلك من اهل سويسرا ولهذا المذنب الذي يشير اليه فولتير خطب طويل في التاريخ فقد قدّر انهُ هو الذي ظهر سنة ٤٣ ق م فانبأ بموت قيصر

عشر من شهر مايو سنة ١٧١٩ وقد حقق لنا ان وفرة هذا المذنب ستكون مسالمةً لنا ولكن ذنبهُ سيكون آيةً لا ريب فيها على غضب السمآء . فان يكن جاك برنولي قد اخطأ في حسابهِ فان خطأهُ لا يزيد على اربع وخمسين سنةً وثلاثة ايام ومثل هذا الخطأ الفاحش لا يُعدّ شيئاً في جنب العصور المتطاولة وعليهِ فلا شيء اقرب الى الثقة من توقع انقضآء العالم في العشرين من شهر مايو من سنة ١٧٧٣ الحالية او من أيّ سنةٍ اخرى من السنين الآتية

« على انهُ ان اتفق ان مذنباً يصادف ارضنا في طريقهِ الشلجمي فماذا يكون اذ ذاك . فانهُ اما ان يكون هذا المذنب معادلاً للارض في القوّة او اعظم منها او دونها فان كان معادلاً لها فاننا نضرّهُ بمقدار ما يضرّنا لان ردّ الفعل يكون مكافئاً للفعل وان كان اعظم فانهُ يجرّنا ورآءهُ او اصغر جررناهُ نحن

« لكن ليطمئنّ اهل باريز ان مدينتهم لا تقفر منهم في ٢٠ مايو ولكنهم سينشدون الاغاني ويمثلون رواية المذنّب وانقراض العالم في الاوپرا الهزلية » اه

وقد وقع مثل ذلك في القرن الحالي فأُرجف بأنهُ في ١٨ يوليو من سنة ١٨١٦ ستلتقي الارض باحد المذنبات فهلع الناس لهذا النبأ واقاموا يترقبون ذلك اليوم بقلوب واجفة . وقد نشر هفمان احد كتّاب جريدة الديبا لذلك

وظهر قبل ذلك باثني عشر قرناً فجلب على الارض الطوفان الموسوي ثم ظهر سنة ٦١٩ ق م فكان سبباً في خراب نينوى . وانبأ جاك برنولي انهُ سيمر بالارض في التاريخ المذكور في الرسالة فيحرقها بذنبه ونشر هويستن احد علمآء الانكليز سنة ١٦٩٦ رسالة زعم فيها انهُ سيحدث في الارض طوفاناً نارياً في تفصيل غريب لا محل لذكره هنا

المهد فصلاً اظهر فيهِ بطلان هذا الزعم في كلام طويل لا يسعنا نقلهُ في هذا الموضع . ثم تكرَّر ذلك سنة ١٨٣٢ بما انبأ بهِ دَموازو من عود مذنب بيالا في ٢٩ اكتوبر من السنة المذكورة قبل منتصف الليل وان مرورهُ في العقدة سيكون على مسافة ثلاثين الف كيلومتر من الارض . ونشر اراغو اذ ذاك فصلاً قرَّر فيهِ انهُ مع توقع عبور هذا المذنب في فلك الارض فان الارض لا تصل الى النقطة التي يمرُّ فيها الاَّ في صباح الثلاثين من نوفمبر اي بعد شهر من الموعد الذي عينهُ دموازو وحينئذٍ يكون قد صار منها على بعد ٨٠٠٠٠٠٠٠ كيلومتر . ثم انهُ في سنة ١٨٥٧ انبأ بعض علماء الالمان بان المذنب المعروف بمذنب شرلكان سيقطع فلك الارض في ١٣ يونيو من تلك السنة بناءً على ما يستفاد من زيج لالند فتهلك الارض بالنار لكن مرَّت تلك السنة كما مرَّ غيرها من قبلها ولم يحدث شيءٌ مما انبأوا بهِ

غاية ما يقال ان ما يُنتظر حدوثهُ في الموعد الذي ذكرهُ فالب لا يتعدى ما اشرنا اليهِ من تساقط الشهب وهو امر معروف في مثل هذا الأوان فكل ما يمكن ان نتوقعهُ في تلك الليلة هو كما قال المسيو وليم فرستر قيّم مرصد برلين ان تمرَّ الارض بحلقةٍ من الشهب المعروفة بالاسديّة[1] فنشاهد ابهج منظرٍ في العمر وهو المطر العرمرم الذي سيتساقط من تلك الشهب

---

(١) سميت بذلك لظهورها من حيال برج الاسد وهي تظهر في كل ٣٣ سنة وقد كان ظهورها الاخير سنة ١٨٦٦

الصل او الثعبان الناشر

لحضرة النطاسي الفاضل الدكتور محمد العشماوي الحكيم
مفتش صحة مركز شبراخيت بالبحيرة

وقفت في عدد فبراير من مجلة المقتطف الاغر على رسالة لحضرة الكاتب الهندي الفاضل معرَّبةً عن جريدة العلم الانكليزية تحت عنوان نوادر الصل الهندي ذكر فيها نوادر غريبة لهذا الضاري واستطرد الى الكلام عن جهاز السم فيهِ فقال ان الانياب الكلاَّبية لهُ ليست مثقوبة كما هو المعلوم والمدوَّن في علم المواليد الثلاثة وانما بين الجراب وأصل الناب انبوب دقيق يحيط بهِ عضلة تقبض عليه فتخنقهُ وتمنع جري للسم منهُ الاَّ اذا تهيأ الصل للَّسع فان هذه العضلة تنبسط فيجري السم من الجراب الى قاعدة الناب ومتى غرزت الناب في بدن الحيوان وخرقهُ انضغط الجراب فخرج بعض السم منهُ وانصبَّ على الجرح فامتزج بدمهِ وسرى في بدنهِ . واستدل على ذلك بأن الناب لوكان مثقوباً لنفث السم دواماً وهذا اسرافٌ لا داعي لهُ وما كانت الطبيعة لتجري عليهِ . الى ان قال ان جرح الناب في حدّ ذاتهِ ليس ساماً الاَّ اذا تهيج الحيوان قبل ذلك فانهُ ينفث السم من فيهِ ويدفعهُ من شدة هيجانهِ فيختلط بدم الجرح لكن ذلك نادرٌ والغالب ان السم يُنفَث بعد اللسع ولو بمدةٍ وجيزةٍ جدًّا لا تزيد عن نصف ثانية لكنها كافية لدفع الاذى اذا منُع الصل من نفث سمهِ حينئذٍ وهو يحني رأسهُ يمنةً ويسرةً حالما يعض ملسوعهُ لكي يعصر السم من جرابيهِ ويجري من فيهِ . قال وأوضح من ذلك انهُ اذا لسع الصل انساناً من فوق ثيابهِ منعت

الثياب وصول السم الى الجرح فلم يكن فيهِ ضرر ولا سيما اذا نُزعت الثياب حالاً حتى لا تمتص السم وتوصلهُ الى الجرح ولو كان الناب مثقوباً والسم ينفث منهُ ماكانت الثياب تمنع اذاهُ . اه

وبما ان ما هو مدوَّن في كتب التاريخ الطبيعي وما هو معلوم من ابحاث العلمآء في هذا الصدد مخالف لذلك اذ ان جهاز السم في الحيات واحد فاثباتاً للحقيقة وتأييداً للعلم نقرّر عن ذلك ما هو آت

قد اتفق لدينا وجود صلٍّ مصري هو المسمى في مصر بالثعبان الناشر او ذي الدرقة وهو مشابه لحيَّة الهند المسماة بالثعبان ذي النظارة (لوجود خط اسود على شكل نظارة مرسوم على الجزء المستعرض من درقتهِ) وطول هذا الصل متر وسبعة وستون سنتيمتراً ومحيط غلظهِ اثنان وعشرون سنتيمترًا وهذا النوع مشابه تمام المشابهة للصل الهندي ولا يختلف عنهُ الاَّ بكبر درقتهِ وزيادة طولهِ وكان محفوظاً في الكحل (السبيرتو) من مدة خمسة اشهر تقريباً فعمدنا الى فحص هذا الثعبان لنتحقق صحة ما جآء في جريدة العلم المذكورة او اثبات ما هو مدوَّن في كتب العلم فبعد ان استخرجناهُ من الكحل باعدنا بين فكيهِ فوجدنا النابين مختفيين في ثنيةٍ من اللثة اختفآء تاماً فأزحنا الاجزآء الرخوة عن الناب الايمن فوجدنا نابين متلاصقين الانسيّ منهما اطول من الوحشي وكلاهما ملتصقان بالفك العلوي التصاقاً متيناً كانهما جزء منهُ فلما حاولنا جذبهما تفتتا ولم نستفد منهما شيئاً فعمدنا الى الناب الايسر وكان اعظم حجماً وبعد نشر جزء من قاعدتهِ امكن نزعهُ الاَّ انهُ انشطر الى قسمين فوجدنا باطنهُ مثقوباً ثقباً شاملاً لجميع امتدادهِ يُرى

بالعين العارية فضلاً عن العدسة المعظمة كما ان الثقب الموجود في مقدّم اصلهِ ظاهر وهو الذي يتصل بالقناة القاذفة للسم ٠ وحيث ذلك فلنذكر شرحاً وجيزاً عن تركيب اعضاء هذا الحيوان وعن جهاز السم فيهِ فنقول

يسمى الصل المصري بالثعبان الناشر لنشرهِ انتفاخاً قبيل العنق شبيهاً بالدرقة وقد يسمى بالثعبان الكليوبتري لانتحارها بهِ ٠ وليس هذا الانتفاخ من انتفاخ وداجيهِ وانما هو من توجيه الاضلاع المقدَّمة الى الإمام والجانبين حينما ينتصب ويتهيج وهو مما يزيد منظرهُ هولاً مع اضافة جحوظ عينيهِ وبريقهما وفحيح فيهِ وحركات لسانهِ المنشقّ مما يفزع عدوّهُ او فريستهُ وهذهِ تُعدُّ اعضاءً اضافية لاعضاء الدّفاع وهي الاسنان الكلاّبية السامة فتكون بمنزلة المخالب والانياب والزئير للاسد المضافة لقوّة عضلهِ وشدة بطشهِ وكالاطراف للانسان المضافة لفطنتهِ وفرط ذكائهِ وكالهرير للكلب المضاف لحدّة مخالبهِ وشكل انيابهِ وسرعة عدوهِ

وليس لهذا الحيوان خاصية المضغ بل يبتلع فريستهُ ابتلاعاً والاسنان فيهِ على الحالة الاثرية ويظهر انهُ في سابق وجودهِ كان بغير هذا الشكل المستدير الذي نوّعهُ بهِ كرور الزمان كما ان المتأمل لاعضائهِ يرى انهُ كان في اوّل امرهِ على غير ما هو عليهِ اليوم فان لسانهُ المشقوق يظهر انهُ كان اطول من ذلك وكان يستخدمهُ لتغذيتهِ فيجذب بهِ الحشرات السابحة في الهواء كما هو شأن الحرباء مثلاً ٠ وكذلك ما يُرى من شكل انيابهِ السمية الآن والمتعددة في كلّ من جهتي الفك العلوي ووجود اسنان أُخر على الحالة الاثرية مما يدلنا على انهُ كان من الحيوانات الماضغة الناهشة ووجود رئةٍ

واحدة لهُ والثانية على الحالة الاثرية مما يدلنا انهُ كان في سابق امرهِ من الحيوانات ذات الرئتين فلما اكتسب هذا الشكل المستدير ضمرت احداهما طوعاً لشكل جسمهِ

اما جهاز السم فيهِ فهو مكوَّن من غدتين اسفنجيتين موضوعةٍ كلٌّ منهما على احد جانبي الرأس خلف مقلة العين وأسفلها قليلاً امام العضلة الصدغية المقدمة وهي محاطة بالقاعدة المتمددة للعضلة الجناحية الوحشية التي تكوّن حولها غلافاً وترياً متيناً وهذه الغدّة تنتهي بقناةٍ ناقلة للسم المنفرز منها على الدوام متجهة من الخلف الى الامام اسطوانية الشكل تنتهي بتجويف صغير هو مستودع السم يخرج منهُ قناة قاذفة للسم تنفذ في اصل الكلاّب من الأمام

اما فسيولوجية هذا الجهاز فهوكبقية الاجهزة الغدّية التي من شأنها ان تكون الغدة المفرزة دائمة الافراز وان ما يُفرَز منها يتجمع في مستودع السم بواسطة القناة الناقلة . ثم ان كل واحدة من هاتين الغدتين تحتوي من خمسة الى سبعة سنتغرامات من السم محفوظة في المستودع فكل حيوان يكون حاملاً من عشرة الى اربعة عشر سنتغرام من السم واما ما يكفي للقتل فهو من سنتغرامين الى اربعة

فعند تهييج الحيوان اذا غضب ينتصب ثلثهُ العلوي ويفتح فاهُ فتحاً زائدًا لان فكيهِ يتصلان باربطةٍ مرنة تسمح لهما بالتمدد الزائد وحينئذٍ تبرز الانياب من ثنيات اللثة وينقضّ على عدوهِ ويضربهُ بفكهِ العلوي فان صادف جزءًا من الجسم عارياً عن الملابس ونشبت الانياب في الجسم

وانسكب في الجرح المقدار الكافي من السم حصل التسمم بلا محالة

وفي الاحوال الخطيرة يعض الحيوان بفكيهِ على الجسم فيندفع السم من القناة القاذفة الى الكلاّيين وينسكب في الجرح بمقدار وافر ويتم التسمم وذلك يكون بحركة الضغط الواقعة على المستودع السمي ومساعدة العضلة الصدغية والجناحية الوحشية

اما ماذكر الكاتب من ان الناب لو كان مثقوباً لاستمر نفث السم وهذا اسراف لا تجري عليهِ الطبيعة فان الباحثين في هذا الامر تبينوا ان ما ينسكب من السم في فم الحيوان نافع لهضمهِ والقول بان الملابس تقي من التسمم ولو كان الناب مثقوباً لنفذ في الجرح فالظاهر انهُ اذا افضى الناب الى الجسم وجرحهُ نفذ السم اليهِ لا محالة فلا تقي الملابس من السم الا اذا كانت صفيقة بحيث لا يبلغ الناب الى الجسم وحينئذٍ فالسم الذي يندفع منهُ ينسكب في خلال نسيج الثوب فيتشرَّبهُ واما اذا كانت الملابس رقيقة حتى ينفذها الناب الى الجسم فالتسمم ضروري

اما تأثير السم في الملسوع وطرق مداواتهِ فسنذكرها في مقالة اخرى ان شآء الله

القوى العاقلة في الحيوان

لحضرة الكاتب الفاضل خليل بك سعد

أنكر عليَّ حضرة الاب الفاضل الخوري قسطنطين الباشا في احد اجزآء هذه المجلّة صحة النتيجة التي اثبتها في مقالتي السابقة وهي « ان المبدأ

العقليّ عامٌّ في جميع انواع الحيوان » ورأى ان ما اوردتهُ من الادلّة المعزّزة لذلك يرجع كلهُ الى مبدإٍ حسّاس من غير حاجةٍ الى تكلّف القول بوجود مبدإٍ عقلي . ومن سياق كلام حضرتهِ على المبدأ الحساس لم أرَ فرقاً واضحاً بينهُ وبين المبدأ العقلي لتوقف كليهما على الحواس الظاهرة والباطنة التي أسهب حضرتهُ في شرحها . ولعلّهُ وهم في مآل ما اوردتهُ عن ظواهر التعقّل وفي تسمية المبدأ المذكور بالمبدأ العقلي لحسب أني أُريد بذلك العقل الذي من شأنهِ ادراك الكليّات وهذا الوهم يظهر من قول حضرتهِ في مقدمة كلامهِ « وقفتُ في مجلّة الضياء المنيرة على كلامٍ في هذا البحث لجناب الكاتب ... يُتوسم من خلالهِ الحكم بالمساواة بين الانسان المخلوق على صورة الله والبهيمة » ومن قولهِ ايضاً في موضع آخر « ولذلك لا تجوز نسبة تلك الافعال التي ذكرها حضرة الكاتب الفاضل الى مبدإٍ عقلي من شأنهِ ادراك الكليات » والحقيقة اني لم اساوِ بين الانسان والبهيمة كما يتضح من فاتحة مقالتي وهي « اذا نظرنا الى الانسان والحيوان بوجهٍ عامٍ نرى بينهما بوناً شاسعاً وبعداً سحيقاً ونجد ان احط المتوحشين الذين ليس عندهم من الكلمات ما يعبرون بهِ عن الاعداد التي تزيد على اربعة وتكاد لغتهم تكون عطلاً من اسماء المعاني يمتازون كثيراً بقواهم العقليّة والادبيّة على أرقى القِردة التي لها لغة تتفاهم بها وهيئة اجتماعيّة على جانبٍ من الانتظام » فيتضح من ذلك اني مسلّم بامتياز الانسان عقلياً على العجماوات التي لا يمكنها ادراك الكليّات مثلهُ . ولم اذكر ايضاً ان المبدأ العقليّ من شأنهِ ادراك الكليات كما استنتج حضرة المنتقد الفاضل بل بالعكس كما يظهر مما

قلتهُ في ردّي على محترم اليسوعيَّة وهو بنصّهِ « وهب ان الكتاب المقدس يصرّح بعدم اعطآء العقل للبهائم فيكون من حيثية عدم اقتدارها على ادراك الكليات لا الجزئيات بوجهٍ نسبيّ وذلك لا ينفي كون المبدأ العقليّ فيها وفي الانسان واحداً »

اما اعتراض حضرته على تسميتي الاصوات التي تتفاهم بها العجماوات لغةً فيكفي لدحضهِ ان أذكّر حضرتهُ بان اللغة هي ما يعبَّر بهِ عن الاغراض فيدخل في ذلك اشارات الخُرس وأصوات الطير والحيوانات سوآء كانت دلالتها طبيعيةً او وضعيةً

والآن يسمح لي حضرة المنتقد الفاضل ان ازيدهُ ايضاحاً حتى اذا شآء استئناف الاعتراض يكون على بينةٍ تامة من المآخذ التي يرى فيها ما لا اراهُ فاقول

يذهب نصرآء مذهب النشوء الذي نحن بصددهِ الى وحدة المبدأ العقلي في جميع مخلوقات الله الحيّة ولديهم ادلة كثيرة يقتنعون منها بنشوء بعض الحيوان بمساعدة الاحوال والبيئة نشوءًا تمكن فيهِ من حرّية استعمال اليد فاتسع بذلك نطاق اعمالهِ وحاجاتهِ . ولما كانت الحاجة ام الاختراع ترتب عليهِ ان يدأب ويُعمِل ما لهُ من الفكرة لسدّ حاجاتهِ فاتسعت بذلك دائرة ادراكهِ الى حدٍّ اقصاهُ عن باقي الحيوان وانتقل من طور شركائهِ في ادراك الجزئيات الى طور ادراك الكلّيات فسميت لذلك قواهُ المدركة « عقلاً » وبقي البعض الآخر مستمرًا في جهادهِ ولكنهُ لاسباب عديدة متداخلة لم يتخطَّ ادراك الجزئيات فسميت قواهُ العاقلة (ونحن مسمّوها) سليقةً او غريزةً

او قوةً وهمية . وعليهِ فيكون اصل العقل سليقة وبالتالي يكون مبدأ الغريزة والعقل واحداً والنتيجة كما ذكرناهُ « وحدة المبدأ العقلي في جميع الاحيآء »

اما اصحاب مذهب الخلق المستقل فيقولون ان الانسان خُلق على ما هو عليهِ من كمال القوى العاقلة المدركة للكليّات كما خُلق باقي الحيوان على فطرتهِ الحاليّة ووضعوا تحكماً فاصلاً بين الانسان وباقي الحيوان وساووا بين جميع العجماوات والمخلوقات الاخرى الحية على مباينة غرائزها وتفاوت قواها واتساع المجال بينها وقالوا باختلاف القوى العاقلة في الانسان عنها في باقي الحيوان . فيتضح مما تقدم ان استبدال المبدأ العقلي بالمبدأ الحساس (على فرض عدم وحدتهما) لا يصح ما لم تُقَم الادلة القاطعة على اختلاف جوهر عقل الانسان عن جوهر عقل الحيوان ولا يخفى ما دون ذلك من العقبات الوعرة المسلك ولا سيما اذا اعتبرنا اختلاف العلمآء في تحديد العقل وتنازع آرآئهم في ماهيتهِ وماهية النفس و « مطالعتها » للصور الحسيّة

فهل لحضرة الاب الفاضل بعد الاطلاع على ما تقدم ان يقيم لنا الادلة « العلمية » على مخالفة الجوهر او المبدأ العقلي في الانسان وفي العجماوات او على صحة مذهب الخلق المستقل فنسلم لهُ ان الحق في جانبهِ والا فان شآء فاني اقدّم ما لديّ من البراهين المعززة لمذهب النشوء وحضرتهُ يأتي بما عندهُ من الادلة على عكسهِ فيحكم القرآء بيننا ويكون بذلك فصل الخطاب والله الموفق الى الصواب

التماثيل المتحركة والناطقة

جآءنا من احد افاضل العاصمة الرسالة الآتية

اشرتم في الجزء الثاني من ضيآء هذه السنة الى بعض غرائب المصنوعات التي صنعها الافرنج في محاكاة الاصوات والحركات البشرية ونقلتم بعض الشيء عنها فاذكرتني مقالتكم شيئاً كثيراً من هذا القبيل كنت قرأتهُ في بعض الكتب العربية لا يحضرني الساعة منهُ الا الحادثة الآتية ارويها لكم وانا ارجو من افاضل قومنا وارباب الاطلاع منهم ان يوافوا المجلات بما يعلمونهُ من الشواهد من هذا القبيل وغيرهِ احيآء لذكر السلف فقد اعتادت الجرائد والكتاب الاستشهاد بافاضل الافرنج واقوالهم واعمالهم لسهولة المأخذ والنقل واهملوا شأن أجدادهم العرب الكرام كانهم لم يكونوا شيئاً مذكوراً . والحادثة التي اشرت اليها هي الآتية

ذكر العلامة ابن اياس في صفحة ٨٧ من الجزء الاول من تاريخهِ لدولة الشراكسة بمصر المسمى ببدائع الزهور في وقائع الدهور ما يأتي بالحرف الواحد

« وقال بعض المؤرخين ان ملوك اليمن اهدت الى الملك الكامل محمد (الايوبي) شمعداناً من نحاس يخرج منهُ عند طلوع الفجر شخصٌ من نحاس لطيف الخلقة يخاطب الملك قائلاً صبَّحك الله بالخير قد طلع الفجر او صفيراً هذا معناهُ . وكان هذا الشمعدان من صنعة الميقاتية فأقام في حواصل الملوك الى ايام الملك الناصر محمد بن قلاون ثم فُقد » اه

قلنا لا جرم ان ما اشار اليهِ حضرة المكاتب الفاضل مما يجب التنبه لهُ والعمل بموجبهِ وقد علم مطالعو الضيآء والبيان والطبيب من قبلهِ أنَّا لم

نألُ في التنقير عن آثار العرب في مناحي العلم والصناعة لما اشتهر عن علمآئهم من انهم كانوا مقصورين في غالب امرهم على علوم اللغة والشرع دون التبسط في العلوم الطبيعية والفنون الصناعية . وقد اثبتنا ما اعثرنا عليهِ الاتفاق من ذلك كالكرة الارضية التي صنعها ابو عبد الله محمد الادريسي وقد وصفناها في الطبيب (صفحة ٩٧) وكالساعة المآئية التي صُنِعت على عهد الرشيد وهذه كالتي قبلها اضطُررنا ان نأخذ ما عثرنا عليهِ من صفتها عن كتب الافرنج وكذلك ما ذكرناهُ عن وضع موسوعات العلوم في الطبيب وهو عن اصل افرنجي ايضاً لانا لم نجد شيئاً من ذلك فيما بين ايدينا من كتب العرب . على أنّا قد نقلنا عن هذه عدة اشيآء لها المنزلة العالية بين اهل العلم مثل كلام ابن سينا في زيادة ثلاث حواس على الحواس الخمس وبحث القزويني في تكوُّن البرَد والعاملي في وصف منظر الارض من القمر وما جآء عن المأمون من قياس الدرجة من درج الارض وعن عباس بن فرناس من تطيير جثمان نفسهِ الى غير ذلك

على انهُ لا ينكر ان اكثر علمآئنا قلما كانوا يحفلون بغير ما ذكر من العلوم الشرعية واللسانية ولاسيما المشارقة منهم الا ما كان من امر الكيميآء والتنجيم لما هو معلوم من الغرض في مزاولتها لذلك العهد كما ان اكثر كتّابنا قلما كانوا يهتمّون بوصف المصنوعات والكشف عن اسرارها على ما سبق لنا الالماع اليهِ في غير هذا الموضع وذلك فضلاً عن ان اكثر المؤرخين عندنا لم يكونوا من اهل هذه الشؤون . وانظر ما وصف بهِ ابن جبَير الساعة المآئية التي كانت في دمشق ترَ العجب من ذلك البيان الذي دلّ على ان الرجل

كان من ابعد الناس عن المدارك الصناعية (١) وكذلك ما نقلهُ ابن اياس من وصف الشمعدان المذكور هنا فانهُ لم يحكِ فيهِ الا كلاماً مبتوراً لا يكاد يستفاد منهُ تصوُّر شيء من امرهِ ولا سيما مع غرابة الخبر وبعدهِ عن المدارك البديهية حتى يتخيل السامع انهُ اختلاق . وقابل هذا وذاك بما كتبهُ اراغو على رسمي ساعة اكتازيبيوس اللذين رسمها كلود برُّو واخذاً عما وصفها بهِ ڤتروف الروماني (٢) يتبين لك الفرق بين وصفٍ ووصف والسبب في ايثار الاخذ عن كتابات الافرنج والله اعلم

مُتَفَرِّقَات

يقظة بعد نوم خمسين قرناً - عُرِض في مدينة وِندسَر من انكلترا في اوائل شهر ستمبر الماضي نباتٌ من الحمَّص قد أُخذت حبوبهُ من احد المدافن المصرية وكان ذلك النبات نحيف البنية وعليهِ زهرٌ كَمِد اللون وهي حالةٌ ضرورية لهذا النبت بعد ذلك السبات الطويل

سفينة من قبل التاريخ المسيحي - وُجد في مدينة بروج من البلجيك في أثنآء الاحتفار في مرفأ المدينة سفينةٌ من قبل عهد الميلاد كانت مدفونةً على عمق ٢٠ قدماً ويُظَنّ انها كانت قد جنحت في ذلك الموضع ايام كان

(١) راجع مجلد السنة الاولى من الضيآء صفحة ٧٢١ و ٧٢٢

(٢) راجع صفحة ٧١٩ و ٧٢٠ من المجلد نفسهِ

البحر غامراً للناحية القائمة عليها المدينة . وهي من خشب السنديان تبلغ فيما قيل ثلاثين قدماً طولاً في عرض سبع وقد وُجد صاريها محطماً الى ست قِصَدٍ وكذلك باقيها اكثرهُ محطمٌ بما انهال عليها من الردم بحيث لا يمكن استخراجها الا بعد عناءٍ وصبرٍ عظيم

تعديل اعمار البشر ـ عدّل بعضهم حياة الانسان بثلاث وثلاثين سنة وان ربع الناس يموتون بين السنة الاولى والسابعة ومثل ذلك يموتون بين السابعة والسابعة عشرة ثم انهُ من كل الف نفس يصل واحد فقط الى سن المئة واثنان الى سن الثمانين وستة في المئة الى سن الخامسة والستين . وعدّل ايضاً انهُ يموت من الناس كِل سنة ٥٠ مليوناً فيموت في اليوم ١٣٨ الفاً وفي الساعة ٦٠٠٠ وفي الدقيقة ٩٠

رمتني بدآئها وانسلّت

رأينا لحضرة الاب لويس شيخو كلاماً في الجزء الاخير من المشرق (ص ٩٥٧) يُفهم منهُ انهُ كان عارفاً بالاغلاط التي صححناها لهُ في رواية قصيدة الحلي لكنهُ « لم يرضَ ان يأخذ على نفسهِ اصلاحها لئلا يتصرف بمعاني المؤلف » (كذا ١٠٠٠٠) وهو عذرٌ ظريف . ثم صوّب تصحيح الضيآء لتلك الاغلاط الا اصلاحهُ « ظنوا تأنّيك » بقولهِ « ظنوا تأيّدك » (كذا ٠٠) قال « فانهُ لا يوافق النسخة الباريسية ولا الطبعة الدمشقية وكلاهما يروي (اي كلتاهما تروي) كما رَوينا » انتهى كلامهُ لله درّهُ

ولسنا نزيد هنا على ان نقول لهُ راجع الجزء السادس من مجاني الادب صفحة ٥٩ سطر ٥ وديوان الحلي طبعة دمشق صفحة ٤٦ سطر ٢١ والجزء الثاني من الضيآء صفحة ٥١ رقم ٨ وصفحة ٥٢ سطر ١٦ ٠ فاذا اطلع على ما هنالك وسفر لهُ وجه الحقيقة فلهُ في اعلان ما يبدو لهُ اوكتمه الرأي العالي

اسئلة واجوبتها

القاهرة ـ نرجو اجابتنا على السؤالين الآتيين

(١) لماذا تقدر قوَّة الآلات البخارية بالخيل وكيف تقدَّر قوة الحصان

(٢) من كان مخترع النقود وفي أيّ زمانٍ اختُرِعت

حنا الياس العريان

الجواب ـ اما المسئلة الاولى فانهُ قبل اختراع الآلة البخارية كانت آلات المعامل تديرها الخيل فلما استُبدلت الخيل بالآلات البخارية وذلك نحو سنة ١٧٨٢ كان كل صاحب معمل يطاب آلة تعادل قوة الخيل التي عندهُ فجُعلت قوة الفرس مقياساً تُعتبر بهِ قوى تلك الآلات ٠ واما تقدير قوة الحصان فمن المعلوم ان الخيل تختلف كثيراً ولكن مخترع الآلة البخارية فرض للفرس من القوة مقدار ما ينبغي لرفع ٧٥ كيلغراماً الى علوّ متر في ثانية وهي اعظم من قوة الفرس الطبيعية ولكن كذا جرى الاصطلاح وهو المتعارَف في جميع الممالك الى اليوم

واما المسئلة الثانية فسنفرد لها فصلاً مخصوصاً في الجزء الآتي ان شاء الله

آثار ادبيّة

كتاب الوجيز وسيرة صلاح الدين ـ اهدت لنا شركة طبع الكتب العربية بمصر نسخةً من كلٍّ من الكتابين المذكورين المطبوعين على نفقتها والاوّل من تأليف العالم العلاّمة حجة الاسلام الامام ابي حامد الغزالي المشهور في فقه الامام الشافعي وقد تضمن بيان مذهب الامام مالك وأبي حنيفة والمُزَنيّ مع الاقوال والاوجه البعيدة لاصحاب الامام الشافعي . ولا حاجة الى الاطناب في وصف هذا الكتاب الجليل ففي شهرة مؤلفهِ ما يغني عن تعديد فوائدهِ وبيان مكانهِ من طلاب هذا العلم الشريف

والثاني من تأليف العلامة الفاضل بهآء الدين المعروف بابن شداد اتى فيهِ على تاريخ السلطان يوسف صلاح الدين الايوبي الشهير وتعديد مآثرهِ وحروبهِ وفتوحاتهِ الكثيرة وما بين ذلك من الحوادث بالتفصيل . وبذيلهِ منتخبات من كتاب التاريخ لصاحب حماة فيما يتعلق بتاريخ السلطان صلاح الدين تأليف تاج الدين شاهنشاه بن ايوب

فنثني الثنآء الطيب على همة رجال هذه الشركة الجليلة لما اخذوا على انفسهم من احيآء آثار السلف ونحث جمهور الادبآء والمطالعين على مقتنى هذين السفرين النفيسين

تنبيه * وقع سهوٌ في صفحة ٣٥ من الجزء الثاني في لفظتي سرقسطي وسرقسطة وصوابهما سَرَقوسي وسَرَقوسة

فكاهات

رواية

الفوز بعد اليأس (١)

كان في ضواحي مدينة كلرمون من فرنسا حديقة غنآء قام في وسطها قصر مشيد الاركان حسن البنيان يدل على العظمة والترف يقيم فيهِ رجلٌ من الاشراف يقال لهُ الكنت جيرلد وزوجتهُ وابنةٌ لهما صغيرة يقال لها ماري . وكان الكنت جيرلد من اصحاب الثروة الواسعة فلم يذخر وسعاً في جعل القصر والحديقة فردوساً بهيًّا فزيَّن القصر بأنفس الرسوم وافخر الرياش ولم يدع صنفاً من اصناف الازهار والرياحين النادرة الا جعلهُ في الحديقة فضلاً عمَّا ربَّى عندهُ من الحيوانات الداجنة والاطيار الاليفة . وكان في أُخريات الحديقة بيت صغير للكنت ايضاً وهبهُ لارملةٍ مسكينة هي غسَّالة لبيت الكنت كانت والدتها قد خدمت بيت والدهِ من قبلهِ ورزق الله تلك المرأة ولداً ذكراً ثم توفي زوجها فوهبها الكنت البيت المذكور لتقيم فيهِ مع ولدها الصغير ادوار ولهُ من العمر ثلاث سنوات . وكانت والدة ادوار تقضي ايامها في خدمة بيت الكنت وتُصحِب معها ادوار فيقضي ساعاتهِ في ملاعبة ابنة الكنت ماري والتسلي بلعبها

---

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

ولم تزل الحالة على ما ذكرنا الى ان ترعرعت الفتاة وحان ارسالها الى المدرسة الا ان والديها لم يكونا ليصبرا على فراقها فاحضرا لها استاذاً ماهراً يدرّسها في البيت وفوضا اليهِ امر تربيتها وتثقيفها . وكان ادوار يحضر درسها غالباً فكان يحفظ كل ما يسمعهُ في اثناء التعليم وربما اجاب عن بعض الاسئلة التي كان يلقيها الاستاذ على ماري ولما رأى الاستاذ ما عندهُ من قوة الذكاء وسرعة الحفظ أُعجب بهِ غاية الاعجاب وذكر ذلك مرةً للكنت فقال لهُ لا بأس ان تشركهُ في الدرس مع ابنتي حرصاً على مثل هذا الذكاء ان يذهب سدًى ومذ ذاك اخذ يدرّسهما معاً فوجد من كليهما ما سرّ بهِ غاية السرور

ولما طال الامر على ذلك وتمكنت الالفة بين الصغيرين نمت في قلبيهما جراثيم الحب الطاهر وكانا اذا فرغا من الدرس يخرجان الى الحديقة الفسيحة يتنزهان في ارجائها وشب الاثنان على ذوقٍ واحد ورأيٍ واحد واخلاقٍ واحدة فكانت عواطفهما واهوآؤهما ونفساهما واحدةً في جسمين

ولما بلغ ادوار الثالثة عشرة من عمرهِ شعر في فؤادهِ بحركةٍ خفية لم يدرِ معناها حتى كان في ذات يومٍ جالساً بالقرب من ماري في الحديقة فكانت تكلمهُ وهو مشرّد الافكار يتأمل في صباحة وجهها وتسلسل شعرها وجمال مبسمها ولطافة تركيبها فعلم ان تلك الحركة التي شعر بها في فؤادهِ انما كانت ايدياً معنوية تمتدّ من جانب صدره تلتمس الامساك بذلك الملك الطاهر وقد اصبح قبلة امانيهِ ووجهة آمالهِ . وجعل ادوار يراقب ماري فرأى ميلها اليهِ لا يقل عن ميلهِ اليها فاشتكى لها ما بهِ واجابتهُ بالمثل فتعاهد الاثنان

ان يحافظا على ما بينهما من الوداد ولا يخون احدهما الآخر الى الممات

ورأى الكنت جيرلد انهُ لا غنى عن ارسال ابنتهِ الى مدرسة عالية لاستيفاء الدروس التكميلية فارسلها الى احدى المدارس الكلية وارسل ادوار على نفقتهِ ايضاً الى مدرسةٍ اخرى وكان قد اعجبهُ تقدم الفتى وتوسم فيهِ خيراً . ولم يعلم الحبيبان بالفراق الا قبل حدوثهِ بدقائق قليلة فودع احدهما الآخر وداعاً مختصراً ختماهُ بتجديد عهد الثبات على الحب

وبعد ان مضت عليهما اربع سنوات عاد كلٌّ منهما الى مقرّهِ وهما في غاية الغبطة والسرور بعود الاجتماع وكانت الساعة الاولى التي قابل فيها ادوار ماري من اسعد ايام حياتهِ ولكنهُ ما عتَّم ان ظهر لهُ الامر على خلاف ما كان يعد بهِ نفسهُ لانهُ لما بلغ مبالغ الشبان لم يعد من اللائق ان يرافق ماري في تنزهها وباعتبار كونهِ ابن غسالة لم يعد يمكنهُ ان يذهب يومياً لزيارة بيت الكونت لنزول مقامهِ عن رتبتهم فصبر على بلواهُ واقتنع بالدقائق القليلة التي كان يصادفها فيها عن بعد . ولم يزل كذلك حتى تعاظم الحب في صدرهِ ولم يعد في امكانهِ الصبر فجلس ليلةً امام والدتهِ واخبرها بما يقاسيهِ من الوجد والهيام وتوسل اليها ان تذهب الى بيت الكنت وتطلب ماري عروساً لهُ . فضحكت والدتهُ منهُ وقالت لهُ اجدًّا تتكلم . قال ولمَ لا . قالت اياك يا ادوار ان يتخالج في صدرك مثل هذا الفكر واين نحن من مقام الكنت حتى نطلب مصاهرتهُ وبأي لسان اطلب ماري ان تكون زوجةً لك وهي اذا تزوَّجت لا تأخذ الا اميراً عظيماً . وكان كلامها يزيد ادوار اصراراً والحاحاً واخيراً انتصب امامها بهيئة وحشية واخرج من جيبهِ مسدساً وقال

يجب يا اماه ان تذهبي الى الكنت جيرلد صباح غدٍ وتطلبي ماري عروساً لي وسأنتظركِ عند سلم القصر فاذا خرجتِ يجب ان تعلميني حالاً بما يكون فاذا علمت بقبولهم سُررت وسررتكِ واما اذا علمت انكِ استولى عليك الجبن ولم تعرضي طلبي عليهم اوكان جوابهم سلباً فاعلمي ان رصاصة واحدة من هذا المسدس تخمد انفاسي وتريحني من حياة لا اجد لي فيها لذةً ولا سروراً . ان هذا ما صممت عليهِ ولن احول عنهُ فلا تجتهدي باقناعي وموعدنا صباح الغد . ولما قال هذا دخل الى غرفتهِ واغلق الباب . اما والدتهُ فلبثت ذلك الليل لا تهدأ افكارها ولا يغمض جفناها فقضت ليلتها في البكآء اسفاً على ولدها لانها كانت على يقين من ان طلبتهُ لا يمكن ان تجاب وجعلت تبتهل الى الله ان يغير افكارهُ

وما اشرقت شمس الصباح حتى استيقظ ادوار فايقظ والدتهُ وهي متناومة والحَّ عليها فلبست وسارت الى القصر وهو يتبعها عن بعد حتى صعدت السلم وجعل هو ينتظرها والمسدس في يدهِ كما قال في الليلة السابقة . اما والدتهُ فدخلت القصر وهي ترتجف خوفاً و يأساً ورآها الكنت في حالة الارتباك فجعل يسألها عمّا بها ولم يمكنها الكلام فتساقطت دموعها . فاحاط بها الكنت وزوجتهُ والزماها ان تخبرهما بما اصابها فقصَّت عليهما الامر وهي تبكي وتنتحب . فضحك الكنت قليلاً ثم فكَّر طويلاً وقال لها انني اميل الى ادوار واحبهُ كولدي فقد آنست فيهِ جميع الصفات التي احبها وانا اود ان يكون عروساً لماري لاني لا يهمني ان اجد لها زوجاً غنياً فهي ليست في حاجةٍ الى ذلك . لكن قبل ان اعدك وعداً باتّاً يجب ان نعرض الامر على

ماري فان كانت هي تحبهُ ايضاً وتوافق على طلبهِ فليس عندي من ذلك مانع . ثم التفت الى زوجتهِ وقال وما رأيكِ يا عزيزتي . قالت انا على ما ترى ايها العزيز وكل ما وصفت بهِ ادوار فانا اعتقدهُ تمام الاعتقاد . فاستدعى الكنت ماري وقصَّ عليها الحديث فاجابهُ من احمرار وجنتيها وخفقان قلبها ما دلهُ صريحاً على ما في نفسها ثم جثت امام والديها وقالت أجل اني احب ادوار كثيراً ولكني احب رضا كما اكثر فاذا لم يكن عندكما مانعٌ من ذلك فليس احب اليَّ من ادوار بل لن اميل الى سواهُ . ولا تسل عن سرور الارملة المسكينة بما جرى حتى اوشك ان يغمى عليها من شدة السرور . فقال لها الكنت اذهبي اذاً وبشري ادوار وارسليهِ الى هنا فانا اودّ ان اقابلهُ . فما صدقت المسكينة ان سمعت هذا الكلام حتى اندفعت تقبّل يدي الكنت والكنتة وخرجت مسرعة لتبشر ولدها وهي لا تكاد تصدق ما جرى . ولما ابصرها ادوار من بعيد قرأ في وجهها علامات الفوز فاودع المسدس في جيبهِ وقابلها باسماً فاخبرتهُ بما كان فاسرع الى داخل القصر وحيّا بالاحترام والوقار وجعل الكنت يجاذبهُ اطراف الحديث ويعجب بحسن كلامهِ ودماثة اخلاقهِ وكمال آدابهِ ثم صرَّح لهُ برضاهُ عن خطبتهِ لماري . وكان ادوار قد استحضر خاتمين على كلٍّ منهما اسم احدهما فألبس ماري خاتماً ولبس الثاني ثم جثوَا امام والديها فاقسما على الامانة والاخلاص وباركهما الوالدان . وبعد ذلك استدعى الكنت ادوار الى غرفتهِ وقال لهُ لست انكر ايها العزيز ان لديَّ من الاموال ما يضمن لك ولماري عيشة هنآء وسرور الى ما شآء الله ولكن الانسان لا يدري ما خبأ لهُ القدر فاذا قُدّر

لا سمح الله ان عبثت باموالي يد الدهر تقعان في شدةٍ وضيق وعليهِ وبما انكما لا تزالان صغيري السن ولا بأس من انتظاركما مدةً بعد فانا ارى ان اعطيك مبلغاً من النقود فتسافر الى حيث تشآء وتتاجر بهِ مدة سنةٍ ثم تعود وتريني ما تكون قد فعلت وبهذا تكون قد ربحت لك مالاً بكدك وتعبك وتعلمت التجارة لتستعين بها اذا دعتك اليها الحاجة . وكان ادوار بعد خطبتهِ لماري لا يقدّر حساباً لشيء فقبل مشورة الكنت في الحال واستعد للسفر ولما جهز لوازمهُ اعطاهُ حموهُ الفين من الدنانير فودع الجميع وسافر على بركات الله . وقصد ادوار مدينة بردو فتاجر فيها بالخمور وما مضت عليهِ ستة اشهر حتى تضاعف رأس مالهِ ثم جدد اشغالهُ الى نهاية السنة فتضاعف ايضاً . ولما رأى تزايد ربحهِ عزم ان يوطد مستقبلاً لنفسهِ بيدهِ ولا يعتمد على ثروة حميهِ فكتب اليهِ يقول انني مرجعٌ لك ألفي الليرة التي استلفتنيها فقد رزقني الله اضعافها واني اود البقآء سنة اخرى لاني آسف على ضياع هذه الارباح التي امامي . ثم كتب لخطيبتهِ ماري ووالدتهِ بالواقع وصمم على البقآء

وكان في ذات يوم ان زار الكنت في قصرهِ المركيز لامورلين وهو اذ ذاك وزير الخارجية وكان المركيز ارملاً قبيح الصورة قصير القامة كبير الانف صغير العينين ولهُ شدقٌ يمتد الى قرب اذنيهِ تحيط بهِ لحيةٌ بيضآء مسترسلة ولم يكن فيهِ من الحسنات سوى انهُ يملك اربعة ملايين من الليرات ولهُ اليد الطولى والكلمة النافذة في الحكومة . قلنا انهُ زار الكنت لقضآء بضعة ايام عندهُ فاكرم الكنت وفادتهُ وجعل يجهد نفسهُ في مسرّتهِ ورأى المركيز ماري فافتتن بجمالها واحبها وفي نفس الليلة كلم اباها في شأنها

ووعدهُ ان هو ازوجهُ منها ان يملأ صدرهُ بأوسمة الشرف ويجعلهُ مشيراً في المملكة . وخطر للكنت لأَول وهـلة ان يخبر المركيز بخطبة ماري ولكن حب الرفعة وخوف العار ان هو اخبرهُ انها مخطوبة لابن خادمتهِ حملاهُ على ان يكتم الامر وبهر نور الوسامات نظرهُ فوعد المركيز بابنتهِ . ولما علمت ماري ووالدتها بذلك قامت قيامتهما فأعولتا وبكتا وما كانت دموعهما وتوسلاتهما الا لتزيد حنق الوالد وشراستهُ حتى تهدد ابنتهُ بالقتل ان خالفتهُ. وفي المسآء اجبرها على الجلوس بجانب المركيز ومحادثتهِ فكانت كلما نظرت اليهِ وتصورت جمال ادوار تسود الدنيا في عينيها . ولحظ المركيز انقباضها منهُ فسأل والدها فقال لهُ انها مستحيية لانها لم تعتد بعدُ محادثة الرجال . وبعد ان صرف المركيز بضعة ايام برح القصر عائداً الى باريز وقد وعد ان يعود بعد اشهر قليلة للاقتران بماري . ثم اخذ يزفّ الى الكنت الوسام بعد الآخر ويكثر من الهدايا الثمينة والتحف للكنتة ولماري غير ان هذه ما كانت لتعبأ بهذه الهدايا وهي تفكر في كيف تتخلص من هـذه الورطة وتطاب الموت ليريحها من الاقتران بالمركيز. كل ذلك وادوار لا يعلم بشيء مما جرى لانهُ لم يجسر احد ان يخبرهُ

ولما مضت الاشهر التي عينها المركيز قدم الى كلرمون مساء ذات يوم وطلب ان يقترن بماري في الغد . ولما علمت ماري بذلك اصابتها حمّى شديدة فكانت لا تعي شيئاً ولما حان وقت الاكليل اقتادها والدها بيدها الى امام المذبح الى جانب المركيز فلم تفق الا والكاهن يسألها هل تقبل المركيز زوجاً لها. وتحققت اذ ذاك موقفها فصاحت كلا كلا لا اريدهُ بعلاً لي

ثم ارتعشت وسقطت على الارض فاذا هي جثةٌ باردة . فلما رأى الحضور ذلك اصابتهم دهشة شديدة وجعلوا يمطرون لعناتهم على قلب ذلك الوالد القاسي الذي اعمى بصيرتهُ حبّ الذهب وفهم المركيز الامر فركب عربتهُ توّاً عائداً الى باريس وهو يلعن الكنت . اما جثة ماري فبقيت في الكنيسة بلباس العرس حيث اجتمع حولها والدتها ووالدها وبعض الاصدقاء يبكونها ويتأسفون على شبابها . وقبيل المساء حملت الجثة الى المدفن فواروها في التراب ثم انصرف القوم عن قبرها وهم يستمطرون لها الرحمة بعد ما سقوها وابل الدموع

ولما خيم الظلام وساد السكون وقد ظهر القمر يبعث اشعتهُ الضعيفة على تلك البقعة اذا بشخص قد تسلل بين الاشجار الكثيفة وجعل يسير متمهلاً ويصغي بانتباه ولما تحقق خلوّ المكان اسرع الى اللحد الحديث وجثا مصلياً ثم نهض وجعل يحفر التراب بيديهِ الى ان بان النعش ففتحهُ ووقع نور القمر على وجه الميتة فوقف الشخص يتأمل فيها . ثم اندفع من صدرهِ انين عميق وانطلق لسانهُ فقال يعزُّ عليَّ ان اراكِ ميتةً بعد ما كنت احاذر عليكِ محاذرتي على روحي وكانكِ اردتِ تخفيف حزني فلم تموتي حتى حنثتِ بيمينكِ وجرَّعتِني مرارة الخيانة قبل ان تجرّعيني مرارة فقدكِ . اني فتحت لحدكِ ليس لاودعكِ فانكِ لا تستحقين الوداع ولكن لآخذ من يدكِ خاتماً عليهِ اسمي فاني لا اسمح ان تلبسيهِ وانتِ قد حنثتِ بيمينكِ التي جعلتهِ شاهداً عليها

وكان المتكلم كما عرف القارئ هو ادوار فانهُ بعد ان اتم تجارتهُ وربح الارباح العظيمة فوّض اشغال محلهِ الى وكيل وعاد الى كارمون ورأى ان لا يخبر بقدومهِ مفضلاً الوصول بغتةً فلما بلغ كلرمون رأى الجمع يدخلون

المقبرة فسأل بعض المارة فاعلموهُ بزواج ماري وموتها فتبعهم الى المدفن واختفى ريثما خرج الجميع ففعل ما ذكرنا ولما اتمَّ كلامهُ انحنى فاخذ يد الجثة اليمنى ليخرج منها خاتمهُ فتعذر عليهِ اخراجهُ وجعل يفكر هل يكسر الخاتم او يقطع الاصبع ثم قال لا ان خاتمي لا ينفصل فهو قطعة واحدة اما انتِ فقد اشركتِ في الحب ثم اخرج من جيبهِ سكيناً حادًّا وبدأ يحزّ الاصبع واذا بقطرات دم تسيل من الجرح فارتعش ادوار ولبث مبهوتاً كمن مسهُ الجنون وبعد هنيهةٍ عاد اليهِ رشدهُ فامسك الفتاة واخرجها من النعش فالقاها على الارض وكان الدم يزداد خروجاً من اصبعها ثم رأى صدرها ينخفض ويرتفع فأخذ يستعمل ما بوسعهِ لايقاظها حتى افاقت قليلاً فقالت أماه أين أنا . دعيني اموت ولا أرى وجه المركيز ثم عادت الى غيبوبتها . فاحتال ادوار على ان فتح باب المقبرة ثم حملها بين يديهِ حتى خرج بها الى الخارج وأغلق الباب ثم اكترى عربةً ونقلها الى نزل قريب واستدعى طبيباً لمعالجتها فلما لحصها الطبيب وجد ان ما أصابها نوبة عصبية شديدة على اثر انفعال عظيم فأخذ يعالجها حتى افاقت تماماً فكان اوَّل كلمة قالتها آه ادوار

ولم تدرِ ماري محل وجودها ولا ما اوصلها الى ذلك المكان فستر عنها ادوار الامر في تلك الحال مخافة ان يؤثر الرعب فيها اذا تصوَّرت ما كانت فيهِ ثم اخذ يسألها عما كان في مدة غيبتهِ فأخبرتهُ بكل ما حدث ولما تعافت احضر كاهناً الى النزل فعقد لهُ عليها وأصبحت ماري زوجةً شرعية لادوار

كل ذلك ووالدا ماري في أشدّ الحزن على فقدها ووالدة ادوار تفكر ماذا يحدث بولدها متى رجع او بلغهُ الامر . وبعد بضعة ايام دخل ادوار على

والدته فعجبت من قدومهِ بدون سابق علم وبعد السلام قال يجب ان اذهب توًّا الى بيت حمي وأرى ماري . فجعلت والدتهُ تقنعهُ ان لا يفعل في ذلك اليوم فأصرَّ وذهب وأصحب ماري معهُ ولما بلغ القصر دخل وحدهُ وبقيت ماري خارجاً في العربة . ولما دخل رأى الكنت وزوجتهُ جالسين يبكيان نحيًا وسألهما عن سبب حزنهما وأين ماري . فجثا الكنت امامهُ وقال عفواً يا عزيزي ادوار اصفح لي فقد قتلت ماري بيدي ثم اخذ يقص عليهِ الواقعة ويطلب منهُ الصفح . اما ادوار فقهقه ضاحكاً وقال ذلك ما كنت اظنهُ بكما فقد علمت ان الغنى لا يكفي لجعل الانسان صادقاً في وعده ولذلك فاني قد تزوَّجتُ وستصل زوجتي عن قريب وتريانها وقد كفاني الله غدركما واما انتما فحسبكما جزآء اغتراركما بالمركيز وخيانتكما لي مما سيعقبكما حزناً دائماً يتبعكما الى القبر . واذ ذاك فُتح الباب فدخلت فتاة على وجهها نقاب فاستقبلها ادوار ثم عرَّفهم بها انها زوجتهُ وبعد ما حيَّت جلست تجاه والدتها ولم ترفع نقابها وأخذ الجميع يتحدثون وأدوار يؤنب الكنت والكنتة على عملهما ولما شفى صدرهُ منهما اشار الى ماري فرفعت نقابها وحالما وقع نظر والدتها عليها صاحت صيحة عظيمة وسقطت مغشياً عليها واما الوالد فوقف مبهوتاً وقد جحظت عيناهُ ولم يدرِ أفي حلمٍ هو ام في يقظة

وبعد ذلك اطلعهما ادوار على ما حدث وشاع الخبر في المدينة فتعجب الجميع من هذا التدبير الرباني الذي لم يحرم ادوار حبيبتهُ فجددوا الافراح وعاش ادوار وماري مع بقية الأسرة في اتمّ الخير واكمل السرور